تفسير إبن كثير

مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ۚ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ

وقوله : (من كان يريد العزة فالله العزة جميعا) أي : من كان يحب أن يكون عزيزا في الدنيا والآخرة ، فليلزم طاعة الله ، فإنه يحصل له مقصوده; لأن الله مالك الدنيا والآخرة ، وله العزة جميعها ، كما قال تعالى : (الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا) [النساء : 139] .وقال تعالى : (ولا يحزنك قولهم إن العزة لله جميعا) [يونس : 65] ، وقال : (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون) [المنافقون : 8] .قال مجاهد : (من كان يريد العزة) بعبادة الأوثان ، (فإن العزة لله جميعا) .وقال قتادة : (من كان يريد العزة فالله العزة جميعا) أي : فليتعزز بطاعة الله عز وجل .وقيل : من كان يريد علم العزة ، لمن هي ، (فإن العزة لله جميعا) ، حكاه ابن جرير .وقوله : (إليه يصعد الكلم الطيب) يعني : الذكر والتلاوة والدعاء . قاله غير واحد من السلف .وقال ابن جرير : حدثني محمد بن إسماعيل

الأحمسي ، أخبرني جعفر بن عون ، عن عبد الرحمن بن عبد االله المسعودي ، عن عبد االله بن المخارق ، عن أبيه المخارق بن سليم قال : قال لنا عبد االله - هو ابن مسعود - إذا حدثناكم حديثا أتيناكم بتصديق ذلك من كتاب االله : إن العبد المسلم إذا قال : " سبحان االله وبحمده ، والحمد الله ، ولا إله إلا االله ، واالله أكبر ، تبارك االله " ، أخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه ، ثم صعد بهن إلى السماء فلا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن ، حتى يجيء بهن وجه الرحمن عز وجل ، ثم قرأ عبد االله : (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) .وحدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن علية ، أخبرنا سعيد الجريري ، عن عبد االله بن شقيق قال : قال كعب الأحبار : إن ل " سبحان االله ، والحمد الله ، ولا إله إلا االله ، واالله أكبر " لدويا حول العرش كدوي النحل ، يذكرن بصاحبهن ، والعمل الصالح في الخزائن .وهذا إسناد صحيح إلى كعب الأحبار ، رحمه االله ، وقد روي مرفوعا .قال الإمام أحمد : حدثنا ابن نمير ، حدثنا موسى - يعني ابن مسلم الطحان - عن عون بن عبد االله ، عن أبيه - أو : عن أخيه - عن النعمان بن بشير قال : قال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " الذين يذكرون من جلال االله ، من

تسبيحه وتكبيره وتحميده وتهليله ، يتعاطفن حول العرش ، لهن دوي كدوي النحل ، يذكرون بصاحبهن ألا يحب أحدكم ألا يزال له عند الله شيء يذكر به ؟ " .وهكذا رواه ابن ماجه عن أبي بشر بكر بن خلف ، عن يحيى بن سعيد القطان ، عن موسى بن أبي [عيسى] الطحان ، عن عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن أبيه - أو : عن أخيه - عن النعمان بن بشير ، به .وقوله : (والعمل الصالح يرفعه) : قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : الكلم الطيب : ذكر الله ، يصعد به إلى الله ، عز وجل ، والعمل الصالح : أداء فرائضه . ومن ذكر الله ولم يؤد فرائضه ، رد كلامه على عمله ، فكان أولى به .وكذا قال مجاهد : العمل الصالح يرفع الكلام الطيب . وكذا قال أبو العالية ، وعكرمة ، وإبراهيم النخعي ، والضحاك ، والسدي ، والربيع بن أنس ، وشهر بن حوشب ، وغير واحد [من السلف] .وقال إياس بن معاوية القاضي : لولا العمل الصالح لم يرفع الكلام .وقال الحسن ، وقتادة : لا يقبل قول إلا بعمل .وقوله : (والذين يمكرون السيئات) : قال مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وشهر بن حوشب : هم المراءون بأعمالهم ، يعني : يمكرون بالناس ، يوهمون أنهم في طاعة الله ، وهم بغضاء إلى الله عز وجل ، يراءون بأعمالهم ،

(ولا يذكرون االله إلا قليلا) [النساء : 142] .وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : هم المشركون .والصحيح أنها عامة ، والمشركون داخلون بطريق الأولى ، ولهذا قال : (لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور) ، أي : يفسد ويبطل ويظهر زيفهم عن قريب لأولي البصائر والنهى ، فإنه ما أسر عبد سريرة إلا أبداها االله على صفحات وجهه وفلتات لسانه ، وما أسر أحد سريرة إلا كساه االله رداءها ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر . فالمرائي لا يروج أمره ويستمر إلا على غبي ، أما المؤمنون المتفرسون فلا يروج ذلك عليهم ، بل يكشف لهم عن قريب ، وعالم الغيب لا تخفى عليه خافية .